انعزاليته اليسارية السابقة، اندفع اكثر من اللازم في دعم القيادة الوطنية العربية «وكان الحماس الكبير الذي اثاره اندلاع [ثورة ١٩٣٦] بين الجماهير العربية قد بدأ يطغى على سياسة الحزب، كما ادى الدعم غير المشروط الذي قدمه الحزب لقيادة الحركة الوطنية الى تغييب موقفه المستقل كحزب طبقي يعبّر عن مصالح العمال والكادحين العرب واليهود، وبات من الصعب التمييز بين موقف الشيوعيين وموقف بقية اطراف الحركة الوطنية من القضايا التي يجابهها النضال في تلك المرحلة» (ص ٩٣). وفي هذه السياسية، وجد الكاتب أحد اسباب الانقسام الذي وقع في الحزب لاحقا فشقه الى عرب ويهود. فقد كان من شأن سياسة كهذه «تابعة ومتذيلة» ان تؤدي بالتدريج الى اضعاف الروابط التي تشد الشيوعيين العرب واليهود بعضهم الى البعض الآخر؛ وذلك فضلا عن «الانقطاع التام بين التجمعين السكانيين العربي واليهودي» (ص ٩٧). وقد نشأ عن هذه الأوضاع ان اندفع القسم اليهودي في الحزب الى العمل مستقلا عن قيادته؛ وحين تنبهت القيادة لخطورة هذا الاستقلال وحلت القسم اليهودي في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٩ «لم تمض سوى اشهر قليلة... حتى ظهر تكتل انقسامي جديد داخل الحزب، وقف على رأسه بعض قادة القسم اليهودي السابقين، واستمر في العمل خارج صفوف الحزب الشيوعي الفلسطيني لمدة عامين» (ص ٩٨).

وفي الفصل السادس، كرّس الكاتب جهده لتحليل ظروف ووقائع نشأة عصبة التحرر الوطني في فلسطين عام ١٩٤٣ كتنويع نهائي وحاسم، في الجانب العربي، للانقسام القومي، واعتبر د. الشريف نشوء العصبة «انعكاسا مباشرا لجملة من التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على بنية المجتمع العربي في فلسطين» (ص ١٠٢)، وعرض هذه التطورات وحللها.

ثم استطرد الكاتب، في الفصل السابع، فشرح مواقف العصبة وسياساتها ازاء المسائل المتصلة بالمسألة القومية، وما صاغته من حلول لهذه المسائل.

وفي اربع صفحات تلي الفصول السبعة هذه، وضع الكاتب أربعة، استنتاجات عامة، ارادها تلخيصا لما كرّس الكتاب من اجل قوله. وقد انصبّ استنتاجه الأول على تأكيد خطأ الحزب الشيوعي في ظروف نشأته، حين تصور ان التغلب على التناقض القومي العربي ـ اليهودي يمكن ان يتم بالتركيز على المسائل الاجتماعية ـ الطبقية. ورأى د. الشريف «ان عجز الحزب الشيوعي الفلسطيني، خلال العشرينات، عن تحديد خصوصية المسألة القومية الكولونيالية في فلسطين... قد ساعد في الواقع على بقاء الحركة الشيوعية معزولة عن حركة القومية العربية... ومن جهة اخرى، فان غلبة التوجه البيشوفي على نشاط الحزب وسيادة انحراف النزعة العمالية اليسارية... بين صفوفه، قد أدّيا الى وضع الطبقة في خندق والأمة في خندق آخر، وساهما، بالتالي، في عرقلة توغل الحزب بين صفوف الجماهير الكادحة العربية وتعاظم دوره في صفوف الحركة الوطنية العربية» (ص ١٣٤).

وفي الاستنتاج الثاني، نسب د. الشريف الى احداث آب (اغسطس) ١٩٢٩ الثورية والى التبني الحازم لسياسة التعريب اندفاع الحزب «الى بدء تلمس خصوصية المسألة القومية الكولونيالية في فلسطين، باعتبارها خصوصية نابعة من المشروع الصهيوني المرتبط بالمخططات الامبريالية في المنطقة» (ص ١٣٥).

اما الاستنتاج الثالث، فأكد «ان الشيوعية في فلسطين قد اندمجت، خلال سنوات ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، في القومية، وغابت الحدود الايديولوجية والسياسة التي تحد بين 'الطبقة'، و'الأمة'، وفي مثل هذه الظروف بدأت تتبلور عوامل الانقسام القومي بين العرب واليهود داخل صفوف الحزب» (ص ١٣٦).

ثم جزم الكاتب، في استنتاجه الرابع والأخير، بأن نشوء عصبة التحرر الوطني عنى ان الشيوعيين الفلسطينيين قد قطعوا «على الصعيد التنظيمي مع تجربتهم السابقة، وابتكروا، بهدف تأطير التيار الوطني اليساري العريض، شكلا تنظيميا متميزا، كان يقع في منتصف الطريق بين شكل التنظيم الشيوعي وشكل المنظمة القومية اليسارية». كما جزم، ايضا، بأنه «بفضل تجربة عصبة التحرر الوطني، استطاعت الحركة